

# العمل الفكريّ الأصيل - مقدّمة

**العمل الفكريّ الأصيل Authentic Intellectual Work** هو إطار لفحص سيرورات التعليم والتعلّم. هناك إجماع واسع النطاق اليوم على الحاجة إلى تكوين سيرورات تعليميّة ذات معنى وذات صلة، بما في ذلك تطوير مهارات التعلّم والتفكير، مثل التفكير الناقد، حلّ المسائل والإبداع. على الرغم من الاتفاق، وعلى الرغم من تطوير البرامج وأساليب التعليم المختلفة، غالبًا ما يواجه التطبيق نفسه صعوبات ولا يُفضي دائمًا إلى النتائج المتوقعة. يسعى إطار العمل الفكريّ الأصيل المقترح هنا للاطلاع عليه، إلى دراسة، تجريب وممارسة بناء لغة مشتركة قائمة على معايير وأدوات لازمة للتأمل والبحث في التعلّم والتعليم. تتيح لنا هذه المعايير دراسة سيرورات التعليم والتعلّم بشكل عمليّ ومناقشة أبعادها المختلفة من أجل تحسينها. هذه الوثيقة هي مقدمة لهذه الطريقة. تتألف المقدمة من جزأين رئيسيين: يعرض الجزء الأول الأساس المنطقي لهذه الطريقة ومكوناتها، في حين يناقش الجزء الثاني مساهمة تنفيذ إطار العمل الفكريّ الأصيل في تحسين التعليم والتعلّم وتحصيل الطلبة. في النهاية، هناك تطرّق مختصر للنهوض بالعمل الفكريّ الأصيل في المدارس.

## ما هو العمل الفكريّ الأصيل؟

عندما يُسأل الناس عن الأشياء المفضّلة لديهم في المدرسة، يتطرّق الكثيرون إلى الجوانب الاجتماعيّة، الموضوع الدراسيّ المفضّل وربّما إلى معلّمة مفضّلة أو اثنتين. نادرًا ما توصف مهامّ التعليم المختلفة بأنّها ذات معنى أو جديرة بالإشارة إليها. وذلك لأن العديد من المهامّ المدرسيّة تتطلّب من الطلبة حفظ المعرفة، مراجعة الموادّ التعليميّة أو التدرّب على تقنيّات حسابيّة معيّنة ولا تستوجب التفكير عالي المستوى، التفسير أو الفهم العميق. في بعض الأحيان يبدو أنّ الأهميّة الرئيسيّة لمهامّ التعلّم غالبًا ما يتمّ تدريجها وتقييمها من خلال العلامات، وبالتالي فهي تفوّت الهدف المحتمل؛ فبدلًا من عرض مشاكل كبيرة وذات صلة بما يتعامل معه الطلبة، وتتحدّاهم بأسئلة مثيرة ومركّبة، ينشغل الطلبة في التكيّف مع متطلّبات المعلّم وجهاز التربية والتعليم لتحقيق النجاح في تقديم أفضل إجابة.

تبيّن مراقبة العاملين الذين يعتمد عملهم على المعرفة - على سبيل المثال، الكيميائيين، الموسيقيين، المقاولين، مربيّات رياض الأطفال، الأطباء، الفنّيين والمعلّمين، أن النجاح في العمل يتطلّب التعامل مع التحديات الفكرية المعقّدة والقدرة على دمج الأجزاء المختلفة في المعرفة النظرية، وحتى بين النظرية والتطبيق العمليّ. للنظر، على سبيل المثال، إلى عمل المهندس الذي يصمّم الجسر. إلى لتنفيذ مهمّته بنجاح يعتمد على المعرفة الهندسيّة، الحسابيّة، العلميّة والمعماريّة، لكنّ التفاصيل الخاصّة بالجسر كالطول، الارتفاع والوزن الذي سيحمّله والتطرّق إلى البيئة الجغرافيّة والآثار المتوقّعة للطقس على الجسر - تتطلّب منه إعادة تنظيم الأساس المعرفيّ، تحليل التأثيرات المختلفة ومعالجة جميع المعلومات للوصول إلى منتج فريد من نوعه: جسر ما في مكان ما.

التشبيك الفكري مطلوب ليس في مجال التشغيل فحسب، بل في مجالات أخرى أيضًا: على سبيل المثال، من أجل تقييم عمل مرشح انتخابه الجمهور، على المواطن معرفة أعمال هذا السياسي، تقييمها في حد ذاتها وتقييمها مقارنة بالاحتمالات الأخرى التي لم تتحقق. مثال آخر هو إدارة اقتصاد الأسرة: غالبًا ما ينشغل الأهل في إدارة الميزانية، يتخذون القرارات بشأن تربية وتعليم الأبناء، اختيار جليسة الأطفال وغير ذلك. وعليه، فهم يواجهون مجموعة متنوعة من القرارات التي تتطلب منهم تقييم المعطيات، فهم المعاني، التخطيط، وبطبيعة الحال التحدث مع بعضهم البعض واتخاذ القرارات المشتركة. من الواضح إذًا أن البالغين مطالبون باتخاذ قرارات معقدة تتطلب تحليلًا دقيقًا ودراسة في العمل، الحياة الشخصية وحياتهم الاجتماعية والمدنية.<sup>1</sup>

يجب أن يكون التشبيك الفكري المطلوب من البالغين بمثابة علامة مرجعية في التعليم ذي معنى للطلبة منذ سن مبكرة. هذا لا يعني أن الطلبة سوف يصلون خلال سنوات تعليمهم إلى مستوى خبرة العمال المهرة، لكن القاسم المشترك العقلي الضروري للنجاح، قد يساعد في تحديد المعايير التعليمية للمناهج التعليمية، التعليم والتقييم، ليتمكنوا من بناء مهام تعليمية مركبة، ذات معنى وذات صلة لما بعد المدرسة. هذه المهارات الفكرية، حلاً للمهام النموذجية التي يتعامل معها الطلبة في المدرسة - يمكن تسميتها "الأصالة". لا نقصد هنا التعميم، لأنه ليست كل المهام التي يطلب من الطلبة القيام بها اليوم لا تدعم التعلم الأصيل، كما أننا لا نقصد القول إنه يجب التخلي عن إكساب المعرفة، لكن استخدام مفهوم الأصالة يسعى لإثبات نوعية مختلفة من العمل - عمل أكثر تعقيدًا وأكثر جدوى ويتعلق بمشاكل العالم الحقيقي. ينصب التركيز على استخدام المعرفة (وليس على حفظ المعرفة أو تكرار الإجراءات الروتينية) من أجل مناقشة مشكلة ملموسة حتى يتم التوصل إلى منتج أو خدمة أو عرض ذي معنى خارج جدران المدرسة. من بين خصائص العمل الفكري الأصيل، سنركز على ثلاثة معايير: بناء المعرفة من خلال البحث المنظم للوصول إلى منتج ذي معنى حقيقي في العالم خارج المدرسة.

## خصائص العمل الفكري الأصيل

### • بناء المعرفة

يتعين على البالغين بناء المعرفة بشكل يومي للتعامل مع المسائل المعقدة. من بين ما يتضمنه بناء المعرفة، ما يلي: إعادة تنظيم المعرفة الحالية، تفسيرها، تقييمها ودمجها مع المعرفة السابقة اللازمة لحل مشكلة محددة. يعرف المرءون مميزات بناء المعرفة على أنها "تفكير عالي المستوى"، لكن التجربة تُبين أن مهارات بناء المعرفة لا تتحقق من خلال حضورها أو عرضها من خلال مصطلحات، ولكن بالأساس من خلال التعامل مع المسائل المتكررة التي تتطلب بناء المعرفة لحلها.

### • البحث المنظم

بناء المعرفة وحده لا يكفي. حقيقة أن المعرفة قد بنيت لحل مشكلة لا تضمن أن الحل هو المناسب أو الأمثل. يتطلب التكيف الفكري الأصيل استرشاد بناء المعرفة بالبحث المنظم الذي يتضمن ثلاث خصائص: (1) أساس معرفي، منظم، معروف وراسخ (2) فهم عميق للمجال (3) التواصل مع الآخرين لغرض التعبير عن الأفكار وترديدها.

(1) الأساس المعرفي - على العمل الفكري الأصيل أن يستند إلى المعرفة المنظمة الواسعة والتي تشمل المفاهيم، الحقائق، النظريات، صيغ وطرق تفكير نموذجية للمجال. يتم توجيه معظم المهام المدرسية لزيادة الأساس المعرفي عند الطلبة - إلى جانب إكساب مهارات أساسية - ويتم التركيز بشكل أقل على كلا الجانبين الآخرين في البحث المنظم.

(2) فهم عميق - تشكل أجزاء المعرفة المنفصلة عقبة في التعامل مع المسائل المعقدة. من أجل تعميق الأساس المعرفي، يجب أن تسعى المعرفة إلى إنشاء روابط بين الحقائق والمهارات المختلفة. يتسنى الفهم العميق عند استخدام المعرفة، المصطلحات والأساليب المنظمة للبحث، تصور واقتراح اقتراحات لعلاقات بين مفاهيم، أحداث، حقائق وقوانين، ولتوضيح مشاكل محددة أيضًا.

1 كُتبت هذه الوثيقة بتصريف عن:

Dana L. Carmichael, & M. Bruce King (2016)

.Authentic intellectual work: Improving teaching for rigorous learning. Thousand Oaks, CA: Corwin

(3) التواصل والتعبير الثري - يعتبر التواصل مع الآخرين جزءاً أساسياً من القدرة على حل المسائل، عرض حلولها وتحليل النتيجة التي تم التوصل إليها. التواصل - الكلامي، البصري، النصي، بالرسوم البيانية أو الرمزي - يتيح توضيح الإحياءات، الإطناب في الشروح والتعليقات، عرض الحلول ومواصلة التفكير والبحث في المشكلة.

### • القيمة في العالم خارج المدرسة

الإنجازات الفكرية الهامة هي تلك التي لها قيمة نفعية أو جمالية أو شخصية كبيرة. عندما يكتب الناس الكتب، يصممون بيوتهم، يتفاوضون على مختلف الاتفاقيات، يبدعون أعمالاً فنية أو يكتبون نقداً على شبكة الإنترنت، فإنهم يسعون إلى تقديم الأفكار التي سيكون لها تأثير حقيقي في العالم، لأنفسهم والآخرين. على النقيض من ذلك، فإن معظم المهام المدرسية- الاختبارات والتجارب المخبرية والامتحانات النهائية - تهدف إلى تقييم مدى امتثال الطلبة لمعايير داخلية وضعها المعلم أو النظام التعليمي، وليست لها أي أهمية عملية أو شخصية بالنسبة إليهم خارج المدرسة. بالطبع يمكن ملاءمة المناهج التعليمية بحيث تتعامل مع المسائل المهمة في العالم، لكن الأفضل هو تمكين الطلبة من التعامل مع التحديات الفكرية الحقيقية خارج المدرسة.

المميزات الثلاثة للعمل الفكري الأصيل: بناء المعرفة من خلال استخدام البحث المنظم من أجل الوصول إلى المنتج ذي المعنى الحقيقي في العالم خارج المدرسة، هي أساس المهارات اللازمة للنجاح في الحياة الاجتماعية ككل. هناك من يعرف الأصالة من خلال المميز الثالث وهو المعنى الحقيقي في العالم، ولكنه ليس كذلك. المميزات الثلاثة متشابكة وكلها هامة لغرض العمل الفكري الأصيل. على سبيل المثال، قد يكون الطلبة بحاجة إلى حل مسألة حسابية معقدة. لغرض الحل، سيتعين عليهم استخدام الأساس المعرفي المتوفر لديهم وكذلك البحث المنظم، لكن إذا لم يكن للمسألة المعنية معنى حقيقي في العالم، فسيكون من الصعب نقل الحل إلى عالمهم خارج المدرسة.

لنأخذ هذا مجرداً جداً، فكروا في المهمتين التاليتين في مجال اللغة اللتين أعطيتا لتلاميذ الصف الخامس: في المهمة الأولى، طلب من الطلبة كتابة قصة مثل بناء على التعليمات التالية: "اخترنا شخصيتين حيوانيتين، فكروا نصيحة تشكل مغزى لقصة المثل، ثم اكتبوا حكاية قصيرة تجسد المغزى. يجب أن تتضمن قصة المثل حواراً".

في المهمة الثانية، طلب من الطلبة إعداد نشرة عن رحلة. "أعدوا نشرة عن رحلة، سجلوا أسماءكم وتواريخ السفر، وأعدوا المضامين التالية: صفحة غلاف ملونة تصف علامة مميزة أو منظرًا طبيعيًا يميز المكان الذي ستسافرون إليه، خريطة ملونة للمكان، قائمة تضم أربع حقائق مثيرة للاهتمام، مسار مع خمسة أنشطة مثيرة للاهتمام يمكن للمسافرين التمتع بها في أماكن مختلفة، قائمة المعدات، صفحة اختيارية لعرض أفكاركم".

في إطار الكتابة المطلوبة في المهمة الأولى، يتعين على الطلبة اختراع وتنظيم الأجزاء المختلفة للقصة، وبذلك يتناولون بناء المعرفة. تسمح لنا وسائل التواصل الواسعة الضرورية للمهمة بإظهار فهم عميق لمصطلحات "قصة المثل" و "المغزى". الحاجة إلى اختيار النصيحة تشكل مغزى يوجه العمل الفكري للتلميذ للتعامل مع القضايا أو القضايا ذات الصلة بحياتهم وحياة الآخرين خارج حدود المدرسة.

يمكن أن يكون إعداد النشرة ممتعاً للطلبة، لكنه لا يتطلب بناء المعرفة. بدلاً من ذلك، يتيح استخراج المعلومات من مصادر أخرى واستخدامها لإعداد النشرة. كما أنه لا يتطلب إجراء بحث منظم عميق؛ على سبيل المثال، ليست هناك حاجة لشرح أو تبرير اختيار وجهة السفر، أو شرح العلاقة بين قائمة المعدات، مناخ وجغرافيا وجهة السفر. أخيراً، قد يكون تخطيط النشرة عن السفر ذا قيمة كبيرة خارج المدرسة، لكن المهمة لا تزال بتدرج متدنٍ لأنها لا تتطلب استخدام المفاهيم من عالم المعرفة من أجل التعامل مع القضايا ذات الصلة بالسفر إلى وجهات غير مألوفة أو صياغة نشرة ناجحة.

مثال آخر: مهمة يطلب من الطلبة فيها كتابة رسالة إلى رئيس المجلس حول قرار معين اتّخذه المجلس. يمكن للتلميذ أن يكتب رسالة يعبر فيها عن معارضته للقرار، لكن دون أي حجة أخلاقية أو نفعية أو اقتصادية، وبالتالي من دون عرض التعقيد في الموضوع قيد المناقشة. في هذه الحالة - على الرغم من أن المهمة معنى حقيقي - إلا أنّ عدم وجود البحث المنظم يفضي إلى مُنتج غير مُرضٍ. لذلك فمن الواضح أنّ الأصالة هي ميزة نسبية وليست خاصية ثنائية (إما موجودة أو لا)، وأنّ هذا التقييم للمهام الفكرية ينبغي أن يقوم على كيفية التعبير عن كل من المميزات.

### • لماذا يجدر بنا النهوض بالعمل الفكريّ الأصيل في المدارس؟

تتعامل المدارس مع العديد من المهام المختلفة الملقاة على عاتقها: إكساب مهارات القراءة والكتابة والحساب الأساسية؛ إعداد الطلبة لجهاز التعليم العالي؛ إعداد الطلبة للحياة؛ تشجيع تحمّل المسؤولية الاجتماعية والمشاركة؛ تقبل التنوع الثقافي؛ إكساب مهارات التواصل والصدقة. هذه الأهداف وغيرها هي أهداف جديرة بحد ذاتها، لكن تعدد الأهداف - بالإضافة إلى التعليم المنفصل حسب الموضوع، وتعدّد أحداث التقييم، والمعرفة الكبيرة التي يجب على المدارس أن تدرّسها - لا تسمح بالتوقّف لغرض التأمل والتفكير في عملية التعلّم. العمل الفكريّ الأصيل هو أداة تتيح القيام بذلك خلال العمل.

بناءً على ذلك، لا ينبغي اعتبار العمل الفكريّ الأصيل هدفاً تعليمياً إضافياً أو مهمة جديدة للمدارس. العمل الفكريّ الأصيل هو إطار لتأمل التعليم، وخاصة التعليمات المعطاة للطلبة، من أجل تحسينه والسماح للطلبة بالتعلّم الأصيل وذو المعنى. الاستخدام المنتظم والمنهجي للإطار المفاهيمي للعمل الفكريّ الأصيل سيحقق أهدافاً مختلفة:

- إعداد الطلبة لمواجهة التحديات الفكرية التي ستكون مطلوبة منهم في مكان العمل، في الحياة خارج المدرسة وفي حياتهم الشخصية
- زيادة مشاركة الطلبة في التعلّم
- تعزيز المجتمع المهنيّ المدرسيّ
- تحسين تحصيل الطلبة

### إعداد الطلبة لمواجهة التحديات الفكرية

تؤكد الدراسات التي تفحص المتطلبات الفكرية من العاملين على أهميّة القدرة على حل مسائل وفهم عميق لها على أساس المعرفة المركزة في الموضوع وخلق تعاونات مختلفة. على الرغم من أن بعض المواضيع لا تتطلب مهارات فكرية عالية، يجب أن تتاح لكل تلميذ الفرصة لاكتساب المهارات اللازمة لجميع المواضيع.

لكن الاستثمار الكبير في التربية والتعليم ليس للأغراض النفعية-الاقتصادية فحسب، بل إنّ للتعليم أيضاً أهميّة كبيرة في تكوين مجتمع ديمقراطي سليم. لكي يتمكن المواطنون من المشاركة في الحيّز العام، تقييم سلوك الشخصيات العامة وتحديد المواقع التي من اللائق تحسين الواقع فيها، يتعين عليهم امتلاك الكثير من القدرات الفكرية، مثل: التفسير، التقييم، الفهم العميق والتواصل مع الآخرين لغرض التأثير والتغيير الاجتماعيّ. كما ذكرنا، تحتاج الحياة الشخصية أيضاً إلى معالجة بيانات بشكل شامل، لنقل، على سبيل المثال، في تقييم العلاج الطبي المفضّل، اختيار المهنة، قضاء أوقات الفراغ، وكذلك في العلاقات الشخصية للفرد مع عائلته وأصدقائه. كل هذه تنعكس في مميزات العمل الفكريّ الأصيل.

### تعزيز مشاركة الطلبة في التعلّم

يفيد المعلمون أن العمل الفكريّ الأصيل أكثر إثارة لاهتمام الطلبة وأكثر أهميّة بالنسبة إليهم، كما أنّ الدراسات تبين أن الطلبة الذين يواجهون التحديات الفكرية الأصيلة، مشاركون في المهام المدرسية أكثر من الطلبة الذين يواجهون بالأساس مهام التعليم التقليدية. عندما يُطلب من الطلبة إنشاء معرفة جديدة وليس حفظ المعرفة المكتسبة فحسب؛ عندما يتوصّلون إلى فهم عميق للموادّ الدراسية، ولا يكتفون بمعرفة سطحية للمصطلحات؛ عندما يُمنحون الفرصة لعرض

أفكارهم الأصلية وعندما يتعاملون مع مشاكل حقيقية، فإنهم يظهرون التزامًا أكبر بالتعلم، المبالاة والاستمتاع. لكن القيمة المضافة الرئيسية للعمل الفكري الأصيل هي الجهد الإضافي الذي يكون الطلبة على استعداد لبذله عندما تسنح لهم فرصة المشاركة في التعلم. يحسن الجهد الدراسي تحصيل الطلبة، وهو ما ينعكس في اكتساب المهارات الأساسية وفي القدرة على التعامل مع المسائل الفكرية المعقدة على حدّ سواء.

### تعزيز المجتمع المهني في المدرسة

يكون إطار العمل الفكري الأصيل لغة متجانسة بين موظفي المدرسة، ويوفر المنهجية بالنسبة إلى المتطلّبات الفكرية من الطلبة، كما يدعو إلى التشبيك بين التخصصات، ويشجع المعلمين على التخطيط معًا ضمن برنامج متعدّد السنوات لمختلف المواضيع. يؤدّي التفاهم والتعاون المشترك إلى تماسك ووضوح في النشاط المدرسي وإعطاء هوية مهنية للطاقتهم.

### تحسين تحصيل الطلبة

في بعض الدراسات التي أجريت في التسعينيات والعقد الأول من الألفية الثانية، تبين أن التحصيل الذي حقّقه الطلبة الذين تلقوا تعليمات وإرشادات المستندة إلى التعلم الأصيل أعلى من تحصيل الطلبة الذين لم يمارسوا التعلم الأصيل. تجلّت هذه النتائج في مجموعة واسعة من الفئات العمرية (الصفوف من الثالث إلى الثانية) وفي مجموعة متنوعة من المواضيع: الرياضيات، اللغات، الموضوعات الكثيرة النصوص والعلوم. أكدت الدراسات التي أجريت منذ ذلك الوقت العلاقات الواضحة بين التعليمات، المهام الفكرية الأصيلة وتحصيل الطلبة.

تجدد الإشارة إلى أن معظم الدراسات كانت تستند إلى امتحانات قطرية خارجية للمدارس (امتحانات معيارية)، بحيث أنّ العمل الفكري الأصيل يحسن تحصيل الطلبة فيما يتعلق بالمتطلبات التعليمية الحالية أيضًا، من دون أن تكون موجهة بالضرورة إلى التعلم الفكري الأصيل.

## **كيف يمكن تعزيز العمل الفكري الأصيل في المدارس؟**

يمكن تعزيز العمل الفكري الأصيل في التعليم والتعلم من خلال اعتماد معايير ومقاييس العمل الفكري الأصيل من قبل مجتمعات (طواقم) المعلمين والمعلمات الذين يجتمعون بانتظام (مرة واحدة كل أسبوع أو أسبوعين) ويسترشدون بمعلم ريادي تلقى تدريبًا على ذلك. في جلسات التعلم، يناقش المعلمون التمثيلات المختلفة للتعليم - الواجبات المعطاة للطلبة، نتاجات الطلبة وتصوير الدروس - التي يقدمونها وتعكس موادّ حقيقية من عملهم التي يرغبون في تحسينها.

تشمل المناقشة في مجتمعات المعلمين تأمل التمثيل وتقييمه وفقًا لمعايير ومقاييس العمل الفكري الأصيل والتحدّث عنه. الغرض من هو إتاحة مناقشة عميقة ونوعية لعمليات التعليم والتعلم وطرق تحسينها. توفّر مناقشة التدريجات المتباينة تطوير اللغة المهنية المشتركة للمعلمين، رفع المستوى، زيادة تماسك مطالبهم من الطلبة، وتعميق فهمهم لمعايير العمل الفكري الأصيل.

من المهم التأكيد على أنّ التقييم ليس هدفًا في حدّ ذاته، وبالطبع لا يتمّ استخدامه لتقييم المشاركين. الغرض منه هو أن يشكل نقطة انطلاق لمناقشة مثمرة وفعّالة تستند إلى الأهداف المتفق عليها وإلى لغة مشتركة.